الفلسفة عند الامام الغزالي (دراسة تحليلية)

الدكتور عبد الكريم مشعان حمادي

Republic of Iraq

Directorate General of the province of Baghdad First Karkh

Philosophy of Imam al-Ghazali (Historical Study)

Dr. Abdel - Karim Mishaan Hammadi

المستخلص

لقد كان الامام الغزالي شخصية علمية وفلسفية كبيرة، لم تقف معرفته عند علم معين دون سواه من العلوم، ولم تقتصر ثقافته على ناحية واحدة ولا وقف اطلاعه على العقائد عند عقيدة معينة، وشملت أكثر العلوم المعروفة في عصره والأفكار السائدة والعقائد المنتشرة الصحيحة والفاسدة وذلك من أجل احقاق الحق وابطال الباطل ، وقد تميز عصر الغزالي بمميزات عديدة قد ساعدته على الظهور بهذه الشخصية المرموقة . وبعد هذا له أراء في المسائل الفقهية والفلسفية بشكل واسع وله أراء في التصوف ، وبعد هذا كله قد خلف من بعده كتب وأثار.

Abstract

Imam al-Ghazali was a great scientific and philosophical figure, whose knowledge did not stop at any particular science, and his culture was not confined to one area or stopped his knowledge of the beliefs of a particular faith. He included the most well-known sciences of his time, Achieving the right and invalidating the wrong, and characterized the era of al-Ghazali with many features that helped him to appear with this prestigious figure. After this he has views on philosophical and philosophical issues in a broad way and has views in Sufism, and after all this has left behind books and relics.

(الغزالي – فلسفة – الامام)

(Al-Ghazali - Philosophy - Imam)

المحتويات

التمهيد

١- دراسة الأمام الغزالي للفلسفة

٢- معالم عصر الغزالي

٣- الغزالي ناقد للفلسفة

٤- أراء الغزالي في قوى النفس النباتية

منهج الغزالي وأسس مدرسته

الخاتمة

المصادر

التمهيد

وسعى الغزالي جاهداً للكشف عن قوى النفس وما يتبع من سيطرة أحدهما على الأخر من الصحة والمرض، دنيا وأخرى بل انه يسمى من غلبت عليه بعض هذه القوى بأسماء حيوانات خلوية وذلك وفق ما يتسم به وما يغلب عليها من شره كالخنزير وغضب كالسبع والكلب فيسمى الشوية بالخنزيرية و الغضبية بالسبعية والكلبية وغلبة القوتين بالشيطانية. فقد أقام صرح دراسته النفسية ومعالجته في مجال النفس لتحقيق هدفين بل اتخذها وسيلة لتحقيق هدف أسمى وهو السعادة الدنيوية والأخروية، وكذلك كان هدفه بالنسبة للمجتمع القائم على الأفراد وهذا ما تضمنه البحث .

وقد اعتمدت في بحثي المتواضع هذا على جملة من المصادر المهمة، مثل كتاب مؤلفات الامام الغزالي، وكتاب احياء علوم الدين ، وكتاب النشار ، علي سامي، نشأة الفكر الفلسفي عند اليوناني، وكتاب ابو ريان ، محمد علي ، تاريخ الفكر في الاسلام، وكتاب الاهواني، احمد فؤاد، المدارس الفلسفية ، وكتاب رضا، محمد جواد ، ائمة الفكر التربوي الاسلامي، ومصادر ومراجع اخرى تم حصدها في نهاية البحث في صفحة المصادر والمراجع.

وحاولت خلال بحثي هذا ان أتعرف على جوانب من سيرته العلمية التي انتشرت في مشارق الأرض ومغاربها، فحاولت التعرف على فلسفته بصورة مختصرة، وذلك لكثرتها، وسعته لمختلف العلوم، فهو واحد من أولئك الذين شرح الله تعالى صدورهم للدين والعلم فهو منطقي ومفسر وفيلسوف، ملأ الدنيا بعلمه .

وقد تضمن البحث أربعة فقرات مسبوقاً بتمهيد: تناولت في الفقرة الاولى: دراسة ألامام الغزالي للفلسفة ، أما الفقرة الثانية: فقد تناولت فيها معالم عصر الغزالي، واستعرض الفقرة الثالثة: موضوع الغزالي ناقداً للفلسفة، وأما الفقرة الرابعة فقد خصصها لبيان : آراء الغزالي في قوى النفس النباتية، ثم الخاتمة فالمصادر والمراجع ..... ومن الله التوفيق.

الباحث

الفقرة الاولى

دراسة الأمام الغزالي للفلسفة

اقبل الغزالي على الفلسفة اليونانية التي تزعم أنها الطريقة الوحيدة الموصل الى المعرفة الحق والسعادة واليقين ، وهو العلم المبني على العقل والمنطق والاستدلال ورأي بعلو همته وما خطر عليه من الجدل والصراحة ، أنه لا يسوغ الحكم عليها، وبت الرأي فيها ، حتى يكتنهها ، ويحيط بمقاصدها وكلياتها. حتى يساوي اعلم الناس بهذا الموضوع ، ولا يعتمد على ما قالة خصوم الفلسفة عليها ، فأقبل يدرس الفلسفة في جد واخلاص ونهم وشغف ، حتى وصل إلى أقصى ما يصل إليه عالم يتوافر على دراسة الفلسفة ويتعمق فيها ، فهو أول عالم ديني فعل ذلك في عصره ، وبعد هذه الدراسة الشاملة العميقة التي اخلص فيها كل الاخلاص وجد فيها كل الجد ، يئس الغزالي من الفلسفة ، ولم يشملها باللعن والتكفير شأن كثير من الفقهاء ، بل تناولها بالتحليل والتقسيم، وذكر أصناف الفلاسفة ، وذكر مالهم وما عليهم ، ما يمس الدين من أرائهم في بحوثهم ويتصل به ، وما لا يمسه ولا يتصل به [١].

وهو أول عالم ديني يقوم بهذا التحليل ، ويعرف تاريخ الفلسفة ، ويعرف طبقات رجالها ومدونيها ، ويقسم العلوم الى ستة أقسام : رياضية ، منطقية ، طبيعية ، الهية ، سياسية ، خلقية[٢]

فتكلم عن المنطقيات فقال (لا يتعلق شيء منها بالدين نفيا واثباتا ، بل هو النظر في طرق الأدلة والمقاييس وشروط مقدمات البرهان ، وكيفية تركيبها ، وشروط الحد الصحيح وكيفية ترتيبه)[٣].

هذا يدل على سلامة التفكير الصحيح الذي ينبغ فيه الغزالي وأسلوبه الواضح المتميز عن غيره ، وهو يزيد الإسلام قوة أمام هجمات العالم بشتى الطرق.

وقال الغزالي في الخلقية (انما الخلقية ، فجميع كلامهم أي الفلاسفة يرجع الى حصر صفات النفس وأخلاقها وذكر أجناسها وأنواعها، وكيفية معالجتها ومجاهدتها ، وان أخذوها من كلام الصوفية وهم المثابرون على ذكر الله تعالى ، وعلى مخالفة الهوى النفسي وسلوك الطريق الى الله تعالى)[٤]

وقوله في علم الالهيات : يقول(واما الالهيات ففيها أكثر اغاليطهم ، فاقدروا على الوفاء بالبراهين على ما شرطوه في المنطق ، ولذلك كثر الاختلاف بينهم فيها)[٥].

وبعد ما نظر الغزالي في جميع هذه العلوم الستة ، نظره عميقة ، فقال : (ثم اني لما فرغت في علم الفلسفة وتحصيله ، وتفهيمه، وتزيف ما يزيف منه علمت ان ذلك أيضا غير واف بكمال الغرض ، وان العقل ليس مستقلا بالإحاطة بجميع المطالب ولا كاشفا للغطاء عن جميع المعضلات)[٦].

الفقرة الثانية

معالم عصر الغزالي

ان أهم المعالم التي وجدت في عصر الغزالي سواء كانت سياسية أو علمية والتي هذه الفكرة هي : -

قيام الحروب الصليبية والتي كانت لها الأثر الكبير في الأقطار والشعوب الإسلامية ، إذ اشتبك نصارى الغرب مع المسلمين في حروب دامية استمرت قرنين من الزمن ، اشترك فيها عدد كبير من الدول ، وقد استولى الصليبيون على أجزاء مهمة من الأرض المقدسة ، واستحوذوا على معظم المدن الواقعة في الأناضول والشام وأسسوا إمارات سميت بالإمارات اللاتينية ، ومنها امارة الرها وإمارة انطاكيا وامارة طرابلس وغيرها.

وكان الصليبيون يقومون بإعمال يرتكبوها لا ترتضيها الانسانية وخاصة عند فتحهم لبيت المقدس وقد ذهب العالم الاسلامي للدفاع عن حياض الوطن والذوذ عن حرمة الدين الإسلامي وظهرت شخصيات بارزة في التاريخ مثل نور الدين زنكي وصلاح الدين الأيوبي.[٧]

أما عصر الغزالي العلمي : فانه يتسم بكثرة العلماء وكذلك تأسيس المدارس النظامية ذات المناهج المرسومة والوقف المعلوم وكان لهذه المدارس الأثر الكبير في خدمة العلم والثقافة ونلاحظ ان العلماء كانوا في هذا العصر تحت تأثير الأمراء .

كما تميز عصره بظهور علماء الاعلام أمثال أبي العلاء الجويني ، والامام أبي اسحاق الشيرازي[٨]، كما كان لتنافس الأمراء واندفاعهم الى فتح المدارس بعامل الدفاع عن الرأي والعقيدة، حينا وبعامل المنافسة حينا أخر. ومن مميزات هذا العصر ظهور الباطنية بشكل خطير، وكانت الباطنية تمثل الجانب السياسي المعارض للخلافة العباسية، وقد استعانت الخلافة بالغزالي ان يكتب ردا على تعاليم هؤلاء ، فصنف كتاب (فضائح الباطنية) ذكر ذلك الغزالي في كتابة (المستظهرية)[٩].

الفقرة الثالثة

الغزالي ناقداً للفلسفة

نقد الامام الغزالي الفلسفة، لأنه دخل إلى أعماقها ولعب فيها دوراً أبرزه الى ساحتها ، حيث يمتاز عن كل من سبقه في محاربة الفلسفة ،فانهم اتخذوا موقف الدفاع عن الإسلام وعقائده ، والاعتذار عن الدين الإسلامي ، فكانت الفلسفة تهاجم الدين الاسلامي ، وهؤلاء يدافعون عن الدين ، وينفون التهم الموجهة إليه ، ويحاولون أن يبرروا موقفه ، ويلتمسوا العذر لعقائده ونظرياته ،فكان علم الكلام جنه تلتقي هجمات الفلسفة وتحصن العقيدة الاسلامية، ولم يتجرأ أحد من المتكلمين ان يهاجم الفلسفة ،ويغزوها في عقر دارها ، لعدم تعمقهم في الفلسفة وتضلعهم من أصولها وفروعها ، ولعدم تسلحهم بالأسلحة التي يواجهون بها الفلسفة جرما ونقدا، فكان موقفهم من الفلسفة موقف دفاعي عن قضية ،وموقف الدفاع دائما ضعيف ،غايته أن يسامح المتهم ويعفي عنه[١٠].

أما الغزالي ،فقد هاجم الفلسفة وتناولها بالفحص والنقد ،وهجم عليها هجوما عنيفا مبنيا على الدراسة والبحث العلمي [١١] .

وألجأ الفلسفة الى أن تقف موقف المتهم ، وألجأ ممثليها إلى أن يقفوا موقف المدافعين ، فكان تطوراً عظيما في موقف الدين والفلسفة، وكان انتصارا للعقيدة الاسلامية عادت به الثقة إلى نفوس اتباعهم المؤمنين بها ، وزالت عنهم مهابة الفلسفة وسيطرتها العلمية[١٢].

فالإمام الغزالي برع فيها ، ووقف أمام كل من يهاجم ويكذب على الإسلام، فكان يرده بأسلوب واضح، ويغزوه غزوا علميا مقنعا ، فزاد ذلك الإسلام وضوحا للعقول المتصلبة، في ذلك الوقت ولم يدخل عليه أي التباس .

والامام الغزالي يرد على الفلاسفة الذين قالوا أن تقدم الباري على العالم بالذات، وأما ان يكون الباري متقدما على العالم بالزمان فبذلك يعتقد الفلاسفة قبل العالم زمان العالم فيه معدوما ، فقيل الزمان زمان لانهاية له.

ويناقش الغزالي هؤلاء الفلاسفة ،لقولهم هذا ،فيقول [١٣] ان الزمان حادث مخلوق) ومعنى تقدم الله على العالم والزمان انه كان ولا عالم معه ، ثم كان ومعه عالم، وأما مفهوم الزمان الذي قال به الفلاسفة فهو من غلط الوهم ، لان الوهم يعجز عن تصور الجسم فيتوهم ان وراء المعالم شيئاً)[١٤].

اَراء الغزالي الفلسفية

نبين اَراء الغزالي الفلسفية في اثبات وجود الله وصفاته ووحدانيته وحدوث العالم وغيرها من الصفات الأزلية التي تصفه سبحانه وتعالى:

أولا: (الله والنفس والعالم)

١- وجود الله ووحدانية:

يرى الامام الغزالي أن الانسان بفطرته يستطيع الاستدلال على وجود الله بالنظر في اَيات خلق، فأمخلوقات تشير ألى وجود الخالق، فمن رأى عجائب المخلوقات في السماء والأرض وإحكام الصنع والترتيب في سائر أنحاء الوجود انتهى الى التسليم بوجود مدبر حكيم[١٥].

يقول الإمام في الإحياء ان هذا الأمر العجيب والترتيب المحكم لا يستغني عن صانع يديره وفاعل يحكمه ويقدره، بل تكاد فطرة النفس تشهد بكونها مقهورة تحت تسخيره، ومصرفة بمقتضى تدبيره، وفي ذلك قوله تعالى ﭽ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﭼ إبراهيم: ١٠ .

فمن حيث اثبات وجود الله يقول الغزالي : (إن الحادث لا يستغني في حدوثه عن سبب يحدثه، والعالم حادث فأذن لا يستغني في حدوثه عن السبب[١٦]، وكذلك يبرهن الغزالي على ان الله قديم ولو كان حادثا لافتقر الى محدث ، وافتقر المحدث الى محدث اَخر، وهكذا الى ما لانهاية)[١٧] ، واذن فلا بد من الانتهاء الى محدث قديم لا يجوز عليه العدم لثبوت قدمه، وهو الأول بلا بداية والأخر والظاهر والباطن ، وهو صانع العلم ومبدؤه وبارئه ومحدثه ومبدعه[١٨].

وأما من حيث اثبات الوحدانية فالغزالي يبرهن على ان الله واحد لا شريك له مصداقا للاَية ﭽ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﭼ الأنبياء: ٢٢ [١٩].

فلو كانا اثنين وأراد احدهما أمرا فاذا اضطر الثاني مساعدته لكان مقهورا عاجزا لا يتصف بصفة الاله القادر، وان قدر على مخالفته لكان الأول ضعيفا قاصرا ولم يكن الها قادرا، اذن فالله واحد لا ند له ولا مثل له ، وهو وحده منفرد بالخلق والابداع [٢٠].

٢- الصفات الالهية :

الصفات الالهية الثبوتية على ذات قائمة بها. وهذه الصفات القديمة والله عالم يعلم ويسمع بسمع ويبصر ببصر، وقول القائل : عالم بلا علم، وكقولة غني بلا مال وعلم بلا عالم وعالم بلا معلوم، فان العلم والعلوم والعالم متلازمة فلا يتصور عالم بلا علم ولا علم

بلا معلوم ولا معلوم بلا عالم فهي متلازمة العقل، لا ينفك منها شيء عند الآخر، أو بعض منها عن البعض الآخر[٢١].

فالغزالي يلتزم الموقف الأشعري فيما يختص بالصفات الالهية وعلاقتها بالذات وهذه الصفات الثبوتية السبع هي :

أ- الحياة : يرى الغزالي ان من ثبت علمه وقدرته وفعله ثبتت بالضرورة حياته ، فالله حي[٢٢].

ب- العلم : يرى الغزالي ان الله محيط بكل شيء بعلم واحد دائم في الأزل والأبد ، وهذا العلم المحيط لا يوجب تغيرا في ذاته تعالى، ولا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء [٢٣].

ج- الإرادة: الله مريد لأفعاله ومعنى الإرادة الإلهية عند الغزالي : ايقاعه تعالى الفعل مع كونه غير ذاهل عنه، والارادة الالهية لا حد لها ولا شرط ولا قيد فهو تعالى يفعل ما يشاء [٢٤].

د-القدرة : الله قادر على كل شيء وله الخلق والأمر، وهو صاحب الملك والملكوت والعزة والجبروت، والخلائق جميعا مقهورون في قبضته [٢٥].

هـ - السمع والبصر : لما كان السمع والبصر من صفات الكمال وهي توجد في المخلوق، فكيف لا يكون الله سميعا بصيرا، بينما يكون المخلوق أكمل وأتم منه، فالله سميع بصير[٢٦].

و- الكلام : الكلام نوعين كلام نفسي قائم بالذات وكلام متلفظ مسموع يتخذ بالحروف كدلالات للأصوات .

وكلام الله أزلي قديم قائم بذاته من حيث أنه كلام نفسي، وهذه الصفات جميعا لا تشبه صفات الانسان ولا تشترك معها بالاسم فقط وإنما يكون استعمالها في حق الخالق بطريق الاستعارة والتجوز والنقل، أي بضرب من المماثلة كما سيقول فلاسفة القرون الوسطى المسيحيون[٢٧].

٣- الأفعال الإلهية : يرى الغزالي: -

أولاً: أن كل حادث في العالم فهو من فعل الله وخلقة واختراعه، لا خالق له سواه، ولا محدث له إلا إياه، خلق الخلق وضعهم وأوجد قدرتهم وحركتهم فجميع أفعال عباده مخلوقة له، ومتعلقة بقدرته تصديقا لقوله تعالى چ ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ چ الزمر: ٦٢، وان الله سبحانه وتعالى له حق التصرف المطلق في عباده دون مراعاة للأصلح، كما يقول المعتزلة، بل له ان يفعل ما يشاء ويحكم بما يريد [٢٨] .

ثانياً: العالم:

يصور الغزالي قضية حدوث العالم في إحياء علوم الدين، على الطريقة الافلاطونية وقد ذهب أفلاطون إلى أن الصانع أحدث العالم .

وذكر أيضا قولا يقترب كثير إلى ما ذكره أفلاطون فقد أشار إلى أن الله تعالى كالمهندس(وله المثل الاعلى) الذي يصنع تصميم البناء على الورق ثم يشرع بالتنفيذ وفق مخططه، فكذلك فاطر السموات والأرض كتب نسخة العالم من أوله إلى أخره في اللوح المحفوظ ، ثم أخرجه إلى الوجود على وفق تلك النسخة[٢٩] .

هذا التشبيه قد يبتعد عن الموقف الديني، كما يتصوره أفلاطون قضية حدوث العالم، وبهذا يكون تشكيك في الدين الاسلامي ومع هذا فان المهندس قد يخطأ في تصميمه أو مخططه أو يتناسى بعض الأمور التي تسبب خللا في هذا المخطط، والله سبحانه وتعالى لا ينسى شيء ولا يخطأ لان الخطأ والنسيان مرفوع عن الخالق موضوع في المخلوق[٣٠].

ولكني وجدت عند الغزالي موقف اَخر يذكر انه ليس في الوجود الا الله ذاته وكل شيء هالك الا وجهه الكريم، وهذا يعد تأكيدا لفكرة التوحيد المطلق الا أنه يخلع صفة الوجود الحق عن عالم الخلق[٣١]

ويبدو أن نظرية الغزالي عن العالم كما عرضها في الإحياء لا تحمل الطابع الافلاطوني فحسب بل تضيف اليه عناصر دينية تستبين من خلال المصطلحات التي استخدمها في قضاياه فهو يرى ثمة عوالم ثلاثة أوجدها الله وهي : عالم الملك والشهادة وعالم الغيب والملكوت وبينهما عالم الجبروت، وعالم الملك هو العالم الحسي الجسماني السفلي، وهو اثر من أثار عالم الملكوت بل هو مسبب له، أما عالم الملكوت فهو العالم الروحاني العقلي العلوي، وقد أوجده الله بأمره الأزلي وهو عالم لا يعرف الزيادة والنقصان وكل ما فيه فله أمثلة وأفراد في عالم الشهادة إذ إن عالم الشهادة مثال عالم الملكوت [٣٢].

ونلاحظ أن نظرية الغزالي أخذت الطابع الافلاطوني وأضافت اليه عناصر دينية وهن الأصل في هذه النظرية تسري مع العقل أو الشخصية الإسلامية في اَن واحد .

ثالثاً : الإنسان (النفس) :

يشير الغزالي في الرسالة الدينية إلى أن الله خلق الإنسان وركبه من شيئين مختلفين : أحدهما الجسم المظلم الكثيف الخاضع للكون والفساد والمركب أو المؤلف الترابي الذي لا يتم أمره الا بغيره، أما الشيء الأخر فهو النفس وهي جوهر مفرد منير مدرك فاعل محرك ومتم للآلات والأجسام[٣٣].

ومن حيث الذات نجد الروح الانسي أي الذات الإنسانية قد خلقت على شكل ألذات الالهية فهي قائمة بذاتها ليست بعرض ولا بجسم، وليست جوهر متميز ومن ثم فلا تحل في المكان أو الجهة ثم أنها ليست متصلة بالبدن أو بالعالم أو منفصلة عنها، وكذلك ليست داخل البدن والعالم أو خارجها[٣٤].

وأيضا نجد متشابه بين الصفات الانسانية والصفات الالهية فالإنسان قادر عالم مريد سميع بصير ، (بأمر الله) والله كذلك .

هل سمع وبصر الإنسان هي مثل سمع وبصر وأراده الله تعالى، فكيف يكون تشبيه هذه الصفات مطابقة مع الصفات الإلهية مع عدم وجود فارق بينهما[٣٥].

ومن ناحية الأفعال : نجد ان الفعل الانساني تكون الإرادة مبدوءة ولكننه لا يتم الا حسب الصورة الخيالية المرتسمة في خزانة التخيل. فالإرادة تؤثر في القلب والقلب يؤثر في الدماغ عن طريق الروح الحيواني ثم يسير التأثير إلى الأعضاء فيتم الفعل بحسب

التصور وكذلك يتم الفعل الإلهي في العالم الأكبر، فلا يحدث الفعل الا حسب سابق علمه تعالى المنقوش منذ الأزل في اللوح المحفوظ[٣٦]

وآراء الغزالي حول النفس ووجودها وطبيعتها وقواها ومصيرها وعلاقتها بالبدن.

هو رأي واحد ثابت بصدد النفس ، ونجده تارة يميل إلى موقف أرسطو الذي عرفة عن طريق الفرابي وابن سينا ، وتارة يميل الى موقف أفلاطون ويرى أنه متفق مع العقيدة ، وأيضا نجده ينتقد آراء الفلاسفة حول النفس في (التهافت) ثم يقبل آرائهم في كتبه الأخرى بدون تعديل.

فالنفس واحدة مع تعدد وظائفها وهي لا توجد قبل وجود البدن بل أن الله يوجد قوة من عالم الأمر هي النفس حينما يكون الجسد مستعداً لقبولها .

فيلاحظ على آرائه السابقة انه متقلب بين آراء من سبقة في هذا المجال فيميل تارة الى أرسطو وتارة الى أفلاطون ، ورأي الغزالي في خلود النفس ومصيرها : هو يرى ان خلود النفس لا يمكن البرهنة عليه عن طريق النظر العقلي ومن ثم فيجب الاستناد في ذلك الى الشواهد القرآنية والخبر الشرعي يقول الله تعالى چگ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ گ ں ں ڻ ڻ چ آل عمران: ١٦٩ [٣٧] وأما من حيث مصيرها بعد الموت يشير الى ثلاث طوائف من الناس الطائفة الأولى من النفوس : هي التي أشغلتها هيئاتها الردية ونوازعها البدنية عن طلب المعرفة وتطهير القلب من أدران الرذيلة [٣٨] أما الطائفة الثانية من النفوس : فهي النفوس التي لم تكتسب الشوق ولم تحن إلى المعارف فأنها اذا فارقت الأبدان وهي غير مكتسبة للرذائل فانها تسير إلى سعة رحمة وتخلد الى الراحة في الدار الآخرة أما الطائفة الثالثة من النفوس : هي النفوس التي اشتد تعلقها بالرذيلة فجحدت الحق وتعصبت للآراء الفاسدة ورسخت فيها الهيئات الرذيلة فتعجز عن الاتصال بالعقل الفعال فتخلد في النار[٣٩].

الفقرة الرابعة

أراء الغزالي في قوى النفس النباتية

يرى الغزالي أن النفس النباتية قوى ثلاث هي : الغاذية والمنمية والمولدة ، وللنفس بالاضافة الى ما سبق من قوى وهي محركة ومدركة، فلها قوة ناطقة هي العقل وله قوتان احدهما عملية وأخرى علمية، فأول مراتب العقل عنده ، العقل الهيولاني ويليه العقل بالملكة ثم العقل بالفعل ثم العقل المستفاد وأخيرا نجد العقل الفعال وهو عقل كوني خارج عن النفس الانسانية [٤٠].

أراء الغزالي في المعرفة الإنسانية:

يرى الغزالي أن للمعرفة طريقتين :

أولهما: طريق الحواس والعقل النظري ، فلا يتعدى نطاق عالم الحس وهو تحصيل للمعارف الخارجية عن طريق الحواس والعقل .

وثانيهما: طريق الذوق والكشف، فهو يأتي من داخل النفس اذ هو تعلم رباني واشتغال بالتفكير، وهو يبدأ بالمجاهدة أو بالمعاملة لصقل مرارة القلب بالزهد والعبادة وشدة التقوى

استجلابا لشراق العقل، وكذلك يميز بين الوحي والالهام، فالوحي هو حلية الانبياء والالهام هو زينة الأولياء فأنه يتولد من أشراق النفس الكلية.

خلاصة القول في النفس الانسانية عند الغزالي

هي جوهر قائم بنفسه فهي ليست جسما، وجوهرها منزه عن المادة وأهم دليل يأتيه على انها مخالفة للجسم وانها تنعم بعد البدن أو تعذب لان الألم وان حل بالبدن فلأجل النفس .

ولا يقسم الغزالي قوى النفس، كما هي عند أفلاطون وانما يعدها عن طريق التشبيه إلى ثلاث قوى : الشهوية، والغضبية ، والعقلية ، ثم يضيف اليها فضيلة العدالة لتوازن بينهما[٤١].

وفضائل النفوس عنده هي أربع نفوس : الحكمة، والشجاعة، والعفة، والعدالة .

منهج الغزالي وأسس مدرسته:-

جاء الغزالي بعد الجويني راعياً للمدرسة الفكرية، فوضع قواعد تركزت عليها هذه المدرسة كما جاء في، المنقذ من الضلال، يعد نوعا من التاريخ الذاتي الذي يكشف بحق عن التطور العقلي والروحي لحياة الغزالي الخصبة [٤٢].

ونلاحظ ان منهج الغزالي واضح ومبسط ، وخال من التعقيد، لكي لا يتلبس على القارئ شيء من كلامه وأفكاره فأنه درس علم الكلام دراسة جادة فحصله وعقله، وكان منهجه مبيناً خطأ المتكلمين، وبعدهم عن الطريق السوي والنهج ألقراني، واضعا أسس جديدة ومبادئ عامة دارت عليها أبحاث المعاصرين له والذين أعقبوه مما جعل منهجه يخالف مناهج المدارس الكلامية السابقة [٤٣] .

وبدأ بتأسيس مدرسة جديدة لها أسمها التي تميزها عن غيرها من المدارس الكلامية وذات طابع مخالف لغيرها من المدارس فهذه هي مدرسة الغزالي الكلامية، لها أسس هي :

١- الموازنة بين المعقول والمنقول : غن وزن المعقول بالإسناد الى المنقول ليكون القول منها أسرع الى قبول وذلك ان يجعل المنقول أصلا والمعقول تابعا [٤٤].

٢- التحرر من التقليد : أن يتحرر من التقليد أيا كان نوعه ومصدره فلا يقلد والدا ولا رفيقا ولا أستاذا ولا مذهباً، بل يعمل فكره ويجتهد أن كان من أهل الاجتهاد فما غلب على ظنه انه هو الحق اتبعه أحطا في ذلك أو أصاب .

٣- توحيد الغاية : أن لا معاندة بين الشرع المنقول والحق المعقول وأن من حاول الاستغناء بأحدهما عن الآخر هو من الأغبياء أقرب منه الى العقلاء .

٤- تحديد الغرض :أن لا يدع فنا من فنون العلم ولا نوعا من أنواعه الا وينظر فيه نظرا يطلع به على غايته ومقصده، وأن الغزالي أدرك استحالة الاحاطة بجميع العلوم فينبغي أن يأخذ من كل شيء أحسنه ، وهو سبب السعادة والنجاة [٤٥]

٥- اختيار الأدلة: أن يحتار الباحث من الأدلة المنطقية ما يناسب القضايا التي يعرضها وليتحاشى كل دليل يتطرق إليه مما لا يكون له علاقة حقيقية بموضوع البحث إذ أن من يعلم أن العشرة أكثر من الثلاثة لا يمكنه أن يقنع بدليل قلب العصا ثعبانا في اثبات العكس، وشق القمر مثلا في اثبات نبوة سيدنا محمد)ص(.

٦_ مراعاة أحوال المخاطبين: استلهام أساليب القرآن في مراعاة أحوال المخاطبين عند الجدل من كون بعضهم يقنع بالحكمة وآخرون بالموعظة وفريق ثالث بالمجادلة طبقا للآية القرآنية ٹ ڈ ﭼ ہ ہ ۂ ۂ ھ ہ ھھ ے ے ۓ ۓڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈۈ ۇٴ ۋ ۋ ﭽ النحل: ١٢٥ (46).

٧- استقصاء الحاضر : يرى الغزالي أن المكتلمين لم يهتم بالاستقصاء الحاضر الذي يجمع شتات كل الأفراد ويدور بين النفي كلمة واحدة لأنه آمر صعب وكياسة المتكلمين ناقصة .

٨- نوع الأدلة المناسبة : يرى أن ردود المتكلمين على الفلاسفة لم تشتمل الا على كلمات معقدة مبدده ظاهرة التناقض ، فضلا عمن يدعي دقائق العلوم وزيادة الاستقصاء في التعريفات والتشعيبات والطبيعيات والرياضيات والسياسيات والالهيات .

٩- الدليل والمدلول : دحض ما أثبته المتكلمون الأوائل من أن الدليل يؤدي ببطلان المدلول وأثبت بالأدلة المنطقية حصول العكس أحيانا .

١٠- الفلاسفة بين الإيمان والكفر : اعتبر الفلاسفة أحد خصوم العقائد التي تناسب الكثير من مذاهب المبتدعة ومذاهبهم وعلى الأخص في ألالهيات من مسائلهم مكفراً لجمهورهم في ثلاث مسائل هي(٤٧):

أ- انكار حشر الأجساد .   ب- انكار علم الله بالجزئيات . ج- قدر العالم .

١١- التوسع في الدولة : كان هدف سابقي الغزالي من علم الكلام حفظ عقيدة أهل السنة على أهل السنة، وحراستها عن تشويش أهل البدعة ، فكان عذر الغزالي عديم الجدوى ، في حق من لم يسلم شيئاً لم يكن أمامه بد من أن يقوم بتطويره وأن يضمنه من الاضافات ما يقنع غير المسلمين بالعقائد الايمانية(٤٨) .

١٢- استعمال المنطق : كانت ركيزة العلماء قبل الغزالي مبنية على مقدمات تسلموها من خصومهم واضطرارهم الى تسليمها إما :

أ- التقليد .

ب- إجماع الأمة .

ج- أو مجرد القبول من القرآن والأخبار.

ولما كان الغزالي لا يؤمن بالتقليد ولا يرى الاجماع حجة ولا يكفي بالبساطة والسذاجة من تلقي المعارف والأخبار لم يكن بد من أن يخالف منهج القدماء لنفسه منهجاً لا يقوم على نفس الركائز التي قام عليها بناء سابقيه (٤٩).

الخاتمة

الحمد لله نور السموات والأرض، الذي نور عقولنا بالإيمان ، وجعلنا أئمة للبشرية كافة، وصلاة والسلام على سيد المرسلين ، الذي أدى الرسالة الى جميع العالمين .

قد ختمت الكلام عن هذه الشخصية المرموقة التي اعزالله بها الاسلام والمسلمين، وأصبح المدافع المميز في ذلك العصر ، وهو امام أفحم الملحدين والضالين الذين يدسون على الإسلام والمسلمين الدسائس بصورة غير مباشرة ، فدافع عن العقيدة الاسلامية ووقف أمام هؤلاء ، فرد عليهم وأفحمهم وجعلهم أمام محكمة العدالة الفلسفية ألانه ذو ثقافة عالية لا قد درس الفقه وأصبح عالما فيه ودرس الفلسفة بعد ما رأى فيها الخطر الذي يدب في ساحة الإسلام مثل السرطان في الجسد ، فعالجها أحسن علاج واخترع علاجات جديدة لهذا المرض، ولم يقف على هذا ولكن نقدها نقدا لاذع واقنع من لم يقنعه احد قبله ، وأنه ألف كتب ترد على هؤلاء ، وقد تسم عصر الغزالي معالم عديدة قد ساعدته على الظهور بهذه الشخصية المرموقة . وبعد هذا له أراء في المسائل الفقهية والفلسفية بشكل واسع وله أراء في التصوف .

وقد أسس هذا العالم الشامخ مدرسة لها نهجها ولها طريقها على طول السنين لا ينطفئ نورها على مدى الأيام ، وبعد هذا كله قد خلف من بعده كتب وأثار.

وأخر دعوانا ان الحمد الله رب العالمين .

الهوامش

(١) بدوي، عبد الرحمن، التراث اليوناني في الحضارة الاسلامية، ط٢، مكتبة النهضة (القاهرة، لا ، ت) ص٨٣: النشار، علي سامي، نشأة الفكر الفلسفي عند اليوناني، ط١، مطبعة المعارف، (الاسكندرية، ١٩٦٤م) ص١٢١.

(٢) صليبا، جميل، تاريخ الفلسفة العربية، دار الكتاب العربي (بيروت، ١٩٧٠م) ص١٦٤.

(٣) الامام الغزالي، ابو حامد محمد بن محمد، (ت٥٠٥هـ) ، المنقذ من الظلال ، تحقيق : جميل، صليبا، دار الاندلس (بيروت، ١٩٦٧م)ص٦٣.

(٤) الغزالي ،المنقذ من الضلال ، ص٢٩.

(٥) المصدر نفسه، ص٧٢.

(٦) كرم، يوسف ، تاريخ الفلسفة اليونانية، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر (القاهرة، ١٩٨٥م)

(٧) امين، حسين، الغزالي فقيها وفيلسوفا وصوفيا (بغداد، ١٩٦٥م) ص١٦.

(٨) الشيرازي : من فقهاء الشافعية ولد في فيروز أباد (بفارس) وانتقل الى شيراز فقراء على علمائها ثم سافر الى البصرة ومنها الى بغداد سنة ٤١٥ هـ ، وبنى له نظام الملك المدرسة النظامية ببغداد سنة ٤٥٩ هـ واشتهر بقوة الحجة في الجدل والمناظرة ، درس في النظامية من اشهر صانيفه (التنبية)و (المهذب) في الفقة و(طبقات الفقهاء) و(اللمع) في أصول الفقة توفي ببغداد

(٩) أمين ،حسين، الغزالي فقيها وفيلسوفا وصوفيا ، ص١٧-١٨ القاضي، عبد الجبار، المغنى، الدار المصرية، للتأليف والنشر (القاهرة، ١٩٥٨م)ص٢٢٣.

(١٠) اليازجي، كمال وانطوان غطاس كرم، اعلام الفلسفة العربية، ط١، لجنة التأليف المدرسي، (بيروت، ١٩٥٧م)ص٦٨.

(١١) رضا، محمد جواد، امة الفكر التربوي الاسلامي، ذات السلاسل للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، (الكويت، ١٩٨٩م)ص٤٥.

(١٢) الاهواني، احمد فؤاد، المدارس الفلسفية، الدار المصرية للتأليف والترجمة، (القاهرة ، ١٩٦٥م) ص١١٧.

(١٣) أمين ، الغزالي فقيهاً وفيلسوفاً ومتصرفاً، ص٦٨

(١٤) الطويل، توفيق، الفلسفة الخلقية، مطبعة المعارف (الاسكندرية، ١٩٦٠م) ص٥٦.

(١٥) الغزالي، المنقذ من الضلال ، ص٤١.

(١٦) الغزالي، احياء علوم الدين، دار المعارف للطباعة والنشر (بيروت، لا، ت) ج١، ص١٠٦.

(١٧) ابو ريان، محمد علي ،تاريخ الفكر في الاسلام، ط١، مطبعة المصري (مصر، ١٩٦١م) ص٣٧٦ ، ١٩٧٦.

(١٨) سورة الأنبياء، آية ٢٢.

(١٩) الغزالي، احياء علوم الدين ،ج١، ص١٠٨.

(٢٠) المصدر نفسه، ج١ ، ص١١٠ .

(٢١) الغزالي، احياء علوم الدين ، ج١ ،ص١٠٨.

(٢٢) أبو ريان، تاريخ الفكر الاسلامي ، ص٣٨١.

(٢٣) المصدر نفسه ، ص٣٨٢.

(٢٤) المصدر نفسه ، ص٣٨١.

(٢٥) الغزالي، احياء علوم الدين، ص١٠٩.

(٢٦) ابو ريان، المصدر نفسه ، ص٣٨٣.

(٢٧) الغزالي، المصدر نفسه ،ص ١١٠ص١١٢ .

(٢٨) أبو ريان، تاريخ الفكر الفلسي ، ص٣٨٥.

(٢٩) عبد الرزاق، مصطفى، تمهيد لتاريخ الفلسفة في الاسلام، ط٢، لجنة التأليف والترجمة والنشر، (القاهرة، ١٩٥٩م)ص٢١١.

(٣٠) أبو ريان، المصدر نفسه ، ص٣٨٦.

(٣١) أبو ريان، تاريخ الفكر الفلسفي ، ص٣٨٦.

(٣٢) قاسم، محمود، في النفس والعقل لفلاسفة الاغريق والاسلام، ط٢، مكتبة الانجلو المصرية، (القاهرة، ١٩٥٤م) ص٢١٦.

(٣٣) فروخ، عمر ، تاريخ الفكر العربي (بيروت، ١٩٦٦م) ص٦٨.

(٣٤) الشيرازي، صدر الدين، الأسفار الأربعة، طبعة طهران (طهران ، لا، ت) ص١٢٦.

(٣٥) سورة أل عمران ، آية ١٩٦.

(٣٦) البير نصري، نادر، فلسفة المعتزلة، مطبعة الرابطة (بغداد، ١٩٥١م) ص١٨٧.

(٣٧) أبو ريان ، تاريخ الفكر الاسلامي، ص٣٩٤.

(٣٨) العطار، احمد عبد الغفور ، رسائل المربين المسلمين (القاهرة، ١٩٥٣م) ص١٨١.

(٣٩) أبو ريان، تاريخ الفكر الفلسفي في الاسلام ، ص٣٩٥.

(٤٠) التكريتي، ناجي، الفلسفة الأخلاقية الافلاطونية عند مفكري الاسلام،ط٣، ١٩٨٨م، ص٤٦٠_٤٦١

(٤١) عفيفي، ابو العلا، التصوف الثورة الروحية في الاسلام، ط١، دار المعارف (القاهرة، ١٩٦٣م) ص٨١.

(٤٢) أبو ريان، تاريخ الفكر الفلسفي ، ص٣٥٩.

(٤٣) الفاتح، حسن، دور الغزالي في الفكر، مطبعة الامانة، ١٩٧٨م،ص٧١.

(٤٤) المصدر نفسه، ص٧١.

(٤٥) المصدر نفسه، ص٧٣_٧٥_٧٦.

(٤٦) الفاتح، دور الغزالي في الفكر، ص٧٧_٧٨.

(٤٧) حسن الفاتح ، دور الغزالي في الفكر ، ص٨٢_٨٥.

(٤٨) بدوي، عبد الرحمن، مؤلفات الغزالي(مطبعة الكويت، ١٩٧٧م) ص٨٥.

لنفسه منهجاً لا يقوم على نفس الركائز التي قام عليها بناء سابقيه .

(٤٩) حسن الفاتح، دور الغزالي في الفكر، ص٨٦ ؛ دي بور، تاريخ الفلسفة في الاسلام، ط٤، (القاهرة، لا، ت) ص٨٧.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- امين، حسين، الغزالي فقيها وفيلسوفا وصوفيا (بغداد،١٩٦٥م).
- الاهواني، احمد فؤاد، المدارس الفلسفية، الدار المصرية للتأليف والترجمة، (القاهرة، ١٩٦٥م).
- البير نصري، ناد، فلسفة المعتزلة، مطبعة الرابطة (بغداد، ١٩٥١م).
- بدوي، عبد الرحمن، التراث اليوناني في الحضارة الاسلامية، ط٢، مكتبة النهضة، (القاهرة، لا، ت) .
- التكريتي، د. ناجي، الفلسفة الأخلاقية الافلاطونية عند مفكري الاسلام، ١٩٨٨م.
- دي بور، تاريخ الفلسفة في الاسلام، ط٤ (القاهرة، لا، ت) .
- رضا، محمد جواد، ائمة الفكر التربوي الاسلامي، ذات السلاسل للطباعة والنشر والتوزيع، ط١ (الكويت، ١٩٨٩م)
- الشيرازي، صدر الدين، الأسفار الأربعة، طبعة طهران (طهران، لا، ت).
- صليبا، جميل ، تاريخ الفلسفة العربية، دار الكتاب العربي (بيروت، ١٩٧٠م).
- الطويل، توفيق، الفلسفة الخلقية، مطبعة المعارف (الاسكندرية، ١٩٦٠م).
- عبد الرزاق، مصطفى ، تمهيد لتاريخ الفلسفة في الاسلام، ط٢، لجنة التأليف والترجمة والنشر (القاهرة، ١٩٥٩م) .
- العطار، احمد عبد الغفور، رسائل المربين المسلمين (القاهرة، ١٩٥٣م).
- عفيفي، ابو العلا، التصوف الثورة الروحية في الاسلام، دار المعارف (القاهرة، ١٩٦٣م).
- عفيفي، ابو العلا، التصوف الثورة الروحية في الاسلام، دار المعارف (القاهرة، ١٩٦٣م).
- الغزالي، ابو حامد محمد بن محمد، (ت٥٠٥ هـ) . المنقذ من الظلال، تحقيق ، جميل، صليبا، دار الاندلس، (بيروت، ١٩٦٧م) .
- الغزالي، احياء علوم الدين، دار المعارف للطباعة والنشر (بيروت، لا ، ت).
- ـــــــــ، مؤلفات الغزالي، مطبعة الكويت (الكويت، ١٩٧٧٩).
- ابو ريان، محمد علي ، تاريخ الفكر في الاسلام، مطبعة المصري، ط١(مصر، ١٩٦١م).
- الفاتح، حسن، دور الغزالي في الفكر، (مطبعة الأمانة، ١٩٧٨م).
- فروخ، عمر، تاريخ الفكر العربي، (بيروت، ١٩٦٦م).

- قاسم، محمود، في النفس والعقل لفلاسفة الاغريق والاسلام، ط٢، مكتبة الانجلو المصرية، (القاهرة، ١٩٥٤م).
- القاضي ، عبد الجبار، المغنى، الدار المصرية، للتأليف والنشر، (القاهرة، ١٩٥٨م).
- كرم، يوسف، تاريخ الفلسفة اليونانية، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، (القاهرة، ١٩٥٨م).
- النشار، علي سامي، نشأة الفكر الفلسفي عند اليوناني، ط١، مطبعة المعارف، (الاسكندرية، ١٩٦٤م).
- اليازجي، كمال وأنطوان غطاس كرم، أعلام الفلسفة العربية، ط١، لجنة التأليف المدرسي، (بيروت، ١٩٥٧م) .